الجزء ٨ المجلد ١٠

مجلة المجمع العلمي العربي

(دمشق) : آب سنة ١٩٣٠ م الموافق ربيع الاول سنة ١٣٤٩ هـ

المحاضرة السابعة عشرة

حياة المتنبي (١)

- ٩ -

لو سألنا ابا الطيب عن الاسباب التي من اجلها ترك سيف الدولة وقصد كافوراً لبيّنها لنا دون شيء من جمجمة الكلام ، فانه لما أقام بمصر بعد الرحيل من حلب وستعلمون كيف كان ذلك ، اتصل به ان قوماً نعوه في مجلس سيف الدولة و بهذا تستدلون على انه لم ينج من حسد الحساد في قربه منهم وفي بعده عنهم حتى كانوا يتمنون موته فقال قصيدته التي اولها :

بم التعلل لا أهل ولا وطن ولا نديم ولا كأس ولا سكن

وفي هذه القصيدة عرّض بسيف الدولة فقال :

رأيتكم لا يصون العرض جاركم ولا يدرّ على مرعاكم اللبن
جزاء كل قريب منكم ملل وحظ كل محب منكم ضغن
وتغضبون على من نال رفدكم حتى يعاقبه التنغيص والمنن

هذا ما حمله على الانزعاج عن سيف الدولة وسيأتي هذا الشعر من القوارص مافيه فلم

(١) سلسلة المحاضرات التي القاها في كلية الآداب في دمشق الاستاذ شفيق بك جبري عضو المجمع العلمي العربي ومدير الكلية المذكورة .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

يصن سيف الدولة عرض المتنبي ولم تسلم نعمته عليه من المنة والاذى وهو يعلم في باطنه ان سيف الدولة احفى الناس به :

ولله سيري ما أقل تئيـة عشية شـرقي الحوالي وغرب
عشية احفى الناس بي من جفوته واهدى الطريقين التي أتجنب

ومع هذا جفاه وفارقه لما شكا من امره ما شكاه :

الى اين صار المتنبي بعد ان ترك سيف الدولة وكيف اتصل بكافور ، وفي اي شيء كان يطمع وهو في مصر ، وهل خشي كافور جانبه فأضمر له الشر ، هل سلم المتنبيء من عداوة بعض الناس في مصر ، هل استمر في شكوى الحسد ، كيف هرب ابو الطيب من مصر ، هل استمالة سيف الدولة اليه بعد رجوعه الى الكوفة ، ما ذا لقي المتنبيء في بغداد من عداوة الادباء والوزراء ، كيف هرب من بغداد ، اين قصد بعد تركه دار السلام ، هل استطاب المتنبيء إقامته بظل عضد الدولة في بلاد العجم ، كيف قتل ابو الطيب ، كيف همدت هذه الروح المضطربة التي ماذاقت لذة الهدوء في يوم من الايام ، ولاعرفت نعمة السكون في ساعة من الساعات .

الى اين صار المتنبيء بعد مفارقته سيف الدولة وكيف وصل الى كافور ، جاء في الصبح المنبيء ما يلي :

ولما عزم ابو الطيب على الرحيل من حلب وذلك في سنة ست واربعين وثلاثمائة لم يجد بلداً أقرب اليه من دمشق لان حمص كانت من بلاد سيف الدولة ، فسار الى دمشق ، والقي بها عصار التسيار وكان بدمشق يهودي يعرف بابن ملك ، من قبل كافور ملك مصر فالتمس من المتنبيء ان يمدحه فثقل عليه ، فغضب ابن ملك وجعل كافور الإخشيدي يكتب في طلب المتنبيء من ابن ملك فكتب اليه ابن ملك ان ابا الطيب قال : لا أقصد العبد ، وان دخلت مصر فما قصدي الا ابن سيده ثم نبت دمشق بابي الطيب ، فسار الى الرملة فحمل اليه أميرها الحسن بن طغج هدايا نفيسة وخلع عليه وحمله على فرس بموكب ثقيل وقلده سيفاً محلى . وكان كافور الإخشيدي يقول لاصحابه أتروني ببلغ الرملة ولا يأتينا وأخبر المتنبيء انه واجد عليه ، ثم كتب كافور في طلبه من امير الرملة فسار اليه »

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

فقبل ان يتصل المتنبي بكافور اتصل بامير الرملة الحسن بن طغج فمدحه ، وفي هذه القصيدة يقول :

وفارقت شر الارض اهلاً وتربة بها علوي جده غيرها ثم

فمن هو هذا العلوي الذي غضب عليه المتنبي والظاهر ان جماعة هددوه ، وهم علويون فأشار اليهم في قصيدة ثانية يقولها في ابي القاسم طاهر العلوي :

أتاني وعيد الادعياء وانهم اعدوا لي السودان في كفر عاقب
ولو صدقوا في جدهم لحذرتهم فهل في وحدي قولهم غير كاذب
الي لعمري قصد كل عجيبة كأني عجيب في عيون العجائب

فما كاد يسلم المتنبي من حاشية سيف الدولة ، حتى أتاه وعيد آخر ، فكأن بينه وبين المصائب صلة رحم ، فلننظر اليه وهو في حضرة كافور فهل نجا من هذه المصائب .

لما قدم ابو الطيب على كافور الإخشيدي امر له بمنزل ، ووكل به جماعة ، واظهر التهمة له وطالبه بمدحه فلم يمدحه فخلع عليه فقال يمدحه بقصيدته التي اولها :

كفى بك داء ان ترى الموت شافيا وحسب المنايا ان يكن أمانيا

وأنشده اياها في جمادى الآخرة سنة ست واربعين وثلاثمائة ولئن كان المتنبي لا ينشد مديحه في سيف الدولة الا وهو قاعد ، فانه كان يقف بين يدي كافور وفي رجله خفان وفي وسطه سيف ومنطقة ويركب بحاجبين من مماليكه وهما بالسيوف والمناطق وكان لا يجلس في مجلس كافور .

هكذا اتصل المتنبي بكافور الإخشيدي ، ولكنه في هذه المرة سمت به نفسه الى أفق أبعد من أفق المال ، فلم يقتصر على الرغبة في عسجد يستفيده وانما امتدت هذه الرغبة الى المفاخر .

وما رغبتي في عسجد أستفيده ولكنها في مفخر أستجده

وأعرب عن طمعه هذا في اول قصيدة قالها في كافور :

وغير كثير ان يزورك راجل فيرجع ملكاً للعراقين واليا

نعم لم يكن لقلبه في هذه المرة مدى ينتهي به في مراد من المرادات .

ومن في الناس يرضى بميسور عيشه ومركوبه رجلاه والثوب جلده

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

ولكن قلباً بين جنبي ما له مدى ينتهي بي في مراد احده

ولقد اكثر من المصارحة بما في نفسه :

فان نلت ما أملت منك فربما شربت بماء يعجز الطير ورده

ووعدك فعل قبل وعد لانه نظير فعال الصادق القول وعده

وألح على كافور في قضاء هذه الحاجة التي شغلت باله :

اذا لم تنط بي ضيعة او ولاية فجودك يكسوني وشغلك يسلب

واستنجزه وعده :

ارى لي بقربي منك عيناً قريرة وان كان قرباً بالبعاد يشاب

وهل نافعي ان ترفع الحجب بيننا ودون الذي املت منك حجاب

وفي النفس حاجات وفيك فطانة سكوتي بيان عندها وخطاب

طمع المتنبيء في الولاية فسأل كافوراً ان يوليه صيداء من بلاد الشام او غيرها من بلاد الصعيد وكان كافور قد وعده بان يبلغه جميع ما في نفسه ولكنه خاف جانبه وتهيب امره فقال له : انت في حالة الفقر وسوء الحال ، وعدم المعين سمت بك نفسك الى النبوة فان اصبت الولاية وصار لك اتباع فمن يطيقك ؟ ثم وقعت الوحشة بينهما ووضع عليه العيون والأرصاد خوفاً من ان يهرب وأحس المتنبيء بالشر .

ولم يخل ابو الطيب وهو في ظلال كافور من جماعة كانوا يبغضونه ويوغرون صدر كافور ، وفي جملتهم ابن حرابة وزير كافور والمقرب منه ، وقد كان المتنبيء مدحه ، فكان ابن حرابة يشيع استهزاء المتنبيء بكافور في مدائحه ، والحقيقة ان ابا الطيب قد سخر من كافور في كثير من باطن مدحه وظاهره . فمن قوله :

وما طربي لما رأيتك بدعة لقد كنت ارجو ان أراك فأطرب

فجعل كافوراً بدعة من البدع حتى قال ابن جني : لما قرأت على ابي الطيب هذا البيت قلت له ما زدت على ان جعلت الرجل ابازنة وهي كنية القرد فضحك . ومن قوله :

ويغنيك عما ينتسب الناس انه اليك تناهى المكرمات وتنسب

وهذا البيت ظاهره أبلغ المديح ولكن باطنه لا يخلو من غمزة البتة .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

وقد أشار المتنبيُ الى سواد كافور في كثير من شعره وهو يعلم ان ذكر لون السواد على مسامع كافور أمرّ من الموت . فمن قوله :

ان في ثوبك الذي المجد فيه لضياء يزري بكل ضياء
انما الجلد ملبس وابيضاض النفس خير من ابيضاض القباء

وهذان البيتان فيهما تعريض بسواد كافور وأصرح منهما :

من لبيض الملوك ان تبدل اللون بلون الاستاذ والسحناء

فلا يبعد ان ابن حرابة كان يذيع مهزأة المتنبيُ بكافور حتى يكيد له ، فما أشبه ما كان يقع لابي الطيب وهو عند كافور بما كان يقع له وهو عند سيف الدولة من ابتغاء الغوائل به وكان ابو الطيب وهو في مجالس كافور يتعرض للادباء والشعراء فيجلب عداوتهم لنفسه . في جملة هؤلاء الشعراء ابو القاسم بن ابي العقير الانصاري فقد عارضه المتنبيُ بحضرة كافور في قصيدته الميمية التي اولها :

(نظر المحب الى الحبيب غرام)

فقال له : العرب لاتقول : اليه غرام وانما تقول : له ، فقال له الانصاري العرب تقول اليه ولديه وله وحروف الخفض ينوب بعضها عن بعض ، والوزير ابو بكر بن صالح الروزباذي حاضر والوزير ابو الفضل جعفر بن الفرات حاضر فقال الانصاري قصيدة منها هذان البيتان يعرض فيهما بالمتنبيُ :

لما تعرض لي بمقت حاسد ابدى الملام وكيف يرضى الحاسد
ما زال ينشد قائماً حتى اذا انشدت عارضني لاني قاعد

* * *

لم يستطع المتنبيُ بعد هذا كله ان يطيل الاقامة بمصر ، ولعل مدحه لابي شجاع فاتك المعروف بالمجنون قد زاد في حنق كافور وان كان كافور قد أذن له في مدحه ، فان في القصيدة التي مدحه بها بيتاً يحمل كافوراً على الشك في امر المتنبي :

وان تكن محكمات الشكل تمنعني ظهور جري فلي فيهن تصهال

وقد قال الواحدي في تفسير هذا البيت : ان لم أقدر على المكاشفة بنصرتك على كافور فاني أمدحك الى أوان ذلك كما ان الجواد اذا شكل عن الحركة صهل شوقاً اليها .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

من اجل هذا كله فكر المتنبيّ في الخروج من مصر وقد حشه احد معارفه على الهرب فآخر قصيدة قالها في كافور :

منى كن لي ان البياض خضاب فيخفي بتبييض القرون شباب

وانقطع ابو الطيب بعد انشاده هذه القصيدة لايلقى الاسود الا ان يركب فيسير معه في الطريق ثم عجل الرحيل وقد أعد كل مايحتاج اليه على ممر الايام بلطف ورفق ولا يعلم به احد من غلمانه وهو يظهر الرغبة في المقام وطال عليه التحفظ فخرج ودفن الرماح في الرمال وحمل الماء على الابل لعشر ليال وتزود لعشرين فكان خروجه من مصر سنة خمسين وثلاثمائة فأقام بمصر اربع سنين بوجه التقريب ، وفي يوم عرفة اي قبل مسيره بيوم واحد قال قصيدته :

عيد بأية حال عدت يا عيد بما مضى ام لامر فيك تجديد

وفي هذه القصيدة بيت يدل على استمرار الناس في حسده ، وعلى ايلام هذا الحسد اياه :

ما ذا لقيت من الدنيا واعجبه اني بما انا شاك منه محسود

هرب ابو الطيب من مصر في يوم العيد من سنة خمسين وثلاثمائة ، وأخفى طريقه فلم يظهر له اثر وبذل كافور في طلبه ذخائر الرغائب وكتب الى عماله وسائر اعماله فأخفق .

ضرب المتنبيّ في البوادي في طريقه الى الكوفة ومر باماكن ومياه كثيرة ذكرها في قصيدته التي اولها :

الا كل ماشية الخيزلى فدى كل ماشية الهيذبى

ولكن عبيده انكروا له في الطريق وفسدت نياتهم واخذوا يسرقون له الشيء بعد الشيء من رحله وذلك ان ابا الطيب لما نزل في طريقه الى الكوفة في حسمى برجل يقال له وردان الطائي استغوى وردان عبيد ابي الطيب فلما شعر المتنبيّ بذلك ضرب احد عبيده بالسيف فأصاب وجهه وامر الغلمان فأجهزوا عليه ، والى ذلك أشار في هجاء وردان :

اشذ بعرسه عني عبيدي فأتلفهم ومالي أتلفوه
فان شقيت بايديهم جيادي لقد شقيت بمنصلي الوجوه

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

تنكر عبيده له وربما أضمروا تسليمه فتركهم في ذات ليلة نياماً وشد على الجمال وسار والقوم لايعلمون برحيله حتى توسط بسيطة وهي ارض تقرب من الكوفة فرأى بعض عبيده نوراً يلوح فقال : هذه منارة . ونظر آخر الى نعامة فقال : هذه نخلة فضحك ابو الطيب وقال :

بسيطة مهلاً سقيت القطارا تركت عيون عبيدي حيارى
فظنوا النعام عليك النخيل وظنوا الصوار عليك المنارا

ومن هذا يتبين لكم ما كنت قلته من ان اباالطيب اخذ يتكلم بكلام الملوك ، فقد صار له عبيد وغرق في المكارم .

وما زال يضرب في البوادي حتى وصل الى الكوفة فأناخ وركز رماحه بين المكارم والعلى :

وبتنا نقبل أسيافنا ونمسحها من دماء العدى

وكان دخوله الكوفة في جمادى الآخرة من سنة احدى وخمسين وثلاثمائة .

هل طمع سيف الدولة في عودة المتنبيء اليه بعد رجوعه الى الكوفة ؟

لما عاد ابوالطيب الى الكوفة وأقام فيها تحركت نفس سيف الدولة فشاقتها فلائد المتنبيء فأنفذ سيف الدولة ابنه من حلب الى الكوفة ومعه هدية الى المتنبيء وهذا ما يدلنا على تعلق سيف الدولة بابي الطيب فكأن امير حلب ندم على مافات فأحب ان يصلح ما أفسده ، فمدحه ابو الطيب وكتب بقصيدته التي اولها :

مالنا كلنا جوى يا رسول انا أهوى وقلبك المتبول

اليه من الكوفة سنة ثنتين وخمسين وثلاثمائة اي بعد ان انقطعت مدائحه فيه مدة ست سنين ، وفي هذه القصيدة مايدل على ان في قلب ابي الطيب بقية محبة لسيف الدولة وان وقع بينهما ما وقع :

من عبيدي ان عشت لي الف كافور ولي من نداك ريف ونيل

ولما توفيت اخت سيف الدولة بميافارقين وورد خبرها الى الكوفة عزّاه بها المتنبي وكتب بقصيدته اليه سنة ثنتين وخمسين وثلاثمائة ، وفي هذه القصيدة أحب المتنبيء ان ينفي عن نفسه الظن بفتور محبته لسيف الدولة فقال :

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

يظن ان فؤادي غير ملتهب وان دمع جفوني غير منسكب
بلى وحرمة من كانت مراعية لحرمة المجد والقصاد والادب

والقصيدة فياضة بشعور ابي الطيب .

ولكن سيف الدولة لم تكفه مدائح المتنبيء عن بعد فانه طمع في رجوعه الى ظلاله فأنفذ اليه كتاباً يخطه الى الكوفة يسأله المسير اليه فأجابه بقصيدة ارسلها اليه - في ميافارقين وكان ذلك في شهر ذي الحجة سنة ثلاث وخمسين وثلاثمائة واعتذر المتنبيء عن الالتحاق بسيف الدولة وقال :

وما عاقني غير خوف الوشاة وان الوشايات طرق الكذب
وتكثير قوم وتقليلهم وتقريبهم بيننا والحبب
وقد كان ينصرهم سمعه وينصرني قلبه والحسب

وعاتب سيف الدولة على شدة محبته اياه وعلى قلة حظه منه في هذه المحبة والابيات كلها تعريض بالماضي :

وليت شكاتك في جسمه وليتك تجزي ببغض وحب
فلو كنت تجزي به نلت منك اضعف حظ باقوى سبب

اقام المتنبيء بالكوفة بعد رجوعه من مصر مدة سنتين بوجه التقريب اي من سنة احدى وخمسين وثلاثمائة الى سنة ثلاث وخمسين وثلاثمائة ثم توجه نحو بغداد فوقع بينه وبين ابي علي الحاتمي ما وقع فالظاهر ان اباالطيب لما قدم دارالسلام عظم احتقاره لغيره من الناس فثقلت وطأته على اهل الادب وكان ابو علي الحاتمي قد قصده في مجلسه فلم يبال به المتنبيء وأعرض عنه استصغاراً لشأنه فكاد ابو علي يتميز غيظاً ، حتى انبرى له وبالغ في تعنيفه فاعتذر المتنبيء عن ذنبه وأقبل كل منهما على صاحبه ثم اخذ ابو علي ينقد بعض شعر المتنبيء واشتد جدالهما ثم تصافيا في آخر المجلس وتأكدت بينهما الصحبة ، وصار ابو علي يتردد الى ابي الطيب أحياناً .

ولما نجا المتنبيء من شر ابي علي وقع في شر الوزير المهلبي في بغداد وفي شر معز الدولة نفسه لان معز الدولة ساءه ان يرد على حضرته رجل صدر عن حضرة عدوه ولان الوزير المهلبي ساءه ترفع ابوالطيب عن مدحه ذهاباً بنفسه عن مدح غير الملوك فشق ذلك

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

على المهلبي فأغرى به شعراء بغداد على ما قال الثعالبي حتى نالوا من عرضه وتباروا في هجائه واسمعوه مايكره وتماجنوا به وتنادروا عليه فلم يجبهم ولم يفكر فيهم وقيل له في ذلك فقال اني فرغت من اجابتهم بقولي ان هم ارفع طبقة منهم في الشعر :

أرى المتشاعرين غروا بذمي ومن ذا يحمل الداء العضالا
ومن يك ذا فم مر مريض يجد مراً به الماء الزلالا

وقولي :

أفي كل يوم تحت ضبني شويعر ضعيف يقاوي بني قصير يطاول
لساني بنطقي صامت عنه عادل وقلبي بصمتي ضاحك منه هازل
وأتعب من ناداك من لا تجيبه واغيظ من عاداك من لا تشاكل

وقولي :

واذا أتتك مذمتي من ناقص فهي الشهادة لي بانني كامل

هكذا كانت معاملة الشعراء لابي الطيب في بغداد على ما وصفها الثعالبي فلم يسع المتنبيء الا الهرب من بغداد .

فاتخذ الليل جملاً وفارق دار السلام متوجهاً الى حضرة ابي الفضل ابن العميد وزير ركن الدولة وقد كان ابن العميد راسله من ارجان فسار اليها مراغماً للمهلبي الوزير فورد ارجان واحمد مورده وذلك في صفر سنة اربع وخمسين وثلاثمائة .

وقد كان ابو الطيب في مدحه لابن العميد يتهيبه لمنزلة ابن العميد في الادب فمن قوله فيه :

ما كفاني تقصير ما قلت فيه عن علاه حتى ثناه انتقاده
انني أصيد البزاة ولكن اجل النجوم لا اصطاده
رب ما لا يعبر اللفظ عنه والذي يضمر الفؤاد اعتقاده
ماتعودت ان أرى كأبي الفضل وهذا الذي اتاه اعتياده

وحكي ان ابا الطيب دخل مجلس ابن العميد وكان يستعرض سيوفاً فنهض ابن العميد من مجلسه وأجلسه في دسته ثم قال له اختر سيفاً من هذه السيوف فاختار منها واحداً ثقيل الحلي ، واختار ابن العميد غيره ، فقال كل واحد منهما سيفي الذي اخترته

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

أجود ثم اصطلحا على تجربتهما فقال ابن العميد : فبما ذ تجربهما ؟ فقال ابو الطيب في الدنانير يؤتى بها فينضد بعضها على بعض ثم تضرب به فان قدها فهو قاطع فطلب ابن العميد عشر بن ديناراً فنضدت ثم ضربها ابو الطيب فقدها وتفرقت في المجلس فقام من مجلسه المفخم بلتقط الدنانير المتبددة فقال ابن العميد ليلزم الشيخ مجلسه فان احد الخدم يلتقطها و يأتي بها اليك فقال ابوالطيب : بل صاحب الحاجة اولى .

ثم ورد عليه كتاب عضد الدولة يستزيره فودع بو الطيب ابن العميد سنة اربع وخمسين وثلاثمائة وقصد ابا شجاع عضد الدولة وقد كان الصاحب طمع في زيارة المتنبيء اياه باصبهان على ما ذكره الثعالبي واجرائه مجرى مقصوديه من رؤساء الزمان وهو اذ ذاك شاب وحاله حوبلة ولم يكن استوزر بعد ، وكتب اليه يلاطفه في استدعائه وضمن له مشاطرته جميع ماله فلم يقم له المتنبيء وزناً ولم يجبه عن كتابه ولا الى مراده فاتخذه الصاحب غرضاً يرشقه بسهام الوقيعة ويتتبع عليه سقطاته في شعره وهفواته وينعى عليه سيئاته وهو اعرف الناس بحسناته وأحفظهم لها واكثرهم استعمالاً لها وتمثلاً بها في محاضراته ومكاتباته .

لم يعرج ابوالطيب على حضرة الصاحب وانما قصد عضدالدولة بشيراز وكان ابوعلي الفارسي اذذاك بشيراز وكان ممر المتنبيء الى دار عضد الدولة على دار ابي علي الفارسي فكان اذا مر به ابو الطيب يستثقله على فجج زيه وما يأخذ به نفسه من الكبرياء ، وكان لابن جني هوى في ابي الطيب فهو كثير الاعجاب بشعره لا يبالي باحد يذمه او يحط منه ، وكان يسوءه اطناب ابي علي في ذمه حتى ذكر ابن جني ابياتاً من شعر ابي الطيب فاستحسنها ابو علي واستعادها وكثر اعجابه بها واستغرابه لمعناها ولما علم ابو علي الفارسي ان المتنبيء هو قائل هذه الابيات نهض ودخل على عضد الدولة فأثنى على ابي الطيب ولما جاز به استنزله واستنشده وكتب عنه أبياتاً .

وكأن ابا الطيب قد استطاب الاقامة بظل عضد الدولة فقد انجحت سفرته على ماذكره الثعالبي وربحت تجارته بحضرته ووصل اليه في صلاته اكثر من مائتي الف درهم ثم استأذنه في المسير عنه ليقضي حوائج نفسه ثم يعود .

لعل الله يجعله رحيلاً يعين على الاقامة في ذراكا

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

فأذن له وامر بان تخلع عليه الخلع الخاصة و يقاد اليه الحملان الخاص وتعاد صلته بالمال الكثير فامتثل ذلك وانشده ابو الطيب في اول شعبان سنة اربع وخمسين وثلاثمائة الكافية التي هي آخر شعره وفي اضعافها كلام جرى على لسانه كأنه ينعى فيه نفسه منه قوله :

وان شئت يا طرقي فكوني أذاة او نجاة او هلاكا

جعل قافية البيت الهلاك فهلك وذلك انه سار من واسط يوم السبت لثلاث عشرة ليلة بقيت من شهر رمضان سنة اربع وخمسين وثلاثمائة ومعه ابنه محسد وغلامه ومعه بغال موقرة بكل شيء من الذهب والفضة والطيب والتجملات النفيسة والكتب الثمينة والآلات لانه كان اذا سافر لم يخلف في منزله درهماً ولا شيئاً يساويه فتعرض له فاتك خال ضبة الذي هجاه المتنبئ بقصيدته المشهورة :

(ما انصف القوم ضبة)

وقد كان داخلته الحمية لما سمع ذكر اخته بالقبح في شعره ، واتصل به انصراف المتنبئ من بلاد فارس وتوجهه الى بلاد العراق وعلم ان اجتيازه بجبل ديرالعاقول فجمع عشرين رجلاً من بني عمه فقتله بضيعة تقرب من دير العاقول في يوم الاربعاء لليلتين بقيتا من شهر رمضان وقتل ابنه محسد وغلامه فوجه احد معارف المتنبئ واسمه ابو النصر من دفنه ودفن ابنه وغلامه وذهبت دماؤهم هدراً .

وقد كان ابو النصر هذا نصح للمتنبئ ان يكون معه في الطريق جماعة يمشون بين يديه الى بغداد وذكر ما عزم عليه فاتك من التعرض له والعزم على قتله ، ووافق غلام المتنبئ على رأي ابي النصر ، فقطب ابو الطيب وجهه واغتاظ من غلامه غيظاً شديداً وشتمه شتماً قبيحاً ، فقال له ابو النصر : انا اوجه من قبلي قوماً في حاجة يسيرون بمسيرك وهم في خفارتك فابى ابو الطيب فكان من امره ما كان .

وقيل سبب قتله انه لما ورد على عضد الدولة ومدحه ووصله بثلاثة آلاف دينار وثلاثة أفراس مسرجة محلاة دس عليه عضد الدولة من يسأله : اين هذا من عطاء سيف الدولة فقال : ان سيف الدولة كان يعطي طبعاً وعطاء عضد الدولة تطبعاً فغضب

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

عضد الدولة فلما انصرف جهز اليه قوماً من بني ضبة فقتلوه بعد ن قاتل قتالاً شديداً ثم انهزم فقال له غلامه : اين قولك :

الخيل والليل والبيداء تعرفني والسيف والرمح والقرطاس والقلم

فقال : قتلني قتلك الله ثم قاتل حتى قتل .

وقيل ان الخفراء جاؤه وطلبوا منه خمسين درهماً ليسيروا معه فمنعه الشح فتقدموه ووقع به ما وقع .

ولما قتل رثاه ابو القاسم مظفر بن المظفر بن الطيسي ، ورثاه ثابت بن هارون الرقي النصراني ، ورثاه ابو الفتح عثمان بن جني .

هكذا كانت خاتمة احدى وخمسين سنة انقضت في قلق واضطراب ، هكذا كانت خاتمة قلب ما له مدى ينتهي بصاحبه في مراد من المرادات لقد همدت هذه الروح التي جالت فيها أفكار الناس مدة الف سنة ونيف .

دمشق : في ١٢ نيسان سنة ١٩٣٠

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net